

لمحات من أطول سور القرآن بعد البقرة

سورة النساء .. وصف رباني متقن لبناء المجتمع الإسلامي وحمايته

حلقها الإسلام، في فترة حية من فترات التاريخ الإنساني، إن الجاهلية ليست فترة ماضية من فترات التاريخ، إنما الجاهلية كل منهج تتمثل فيه عبودية البشر للبشر، وهذه الخاصية تتمثل اليوم في كل مناهج الأرض بلا استثناء، ففي كل المناهج التي تعتقثها البشرية اليوم، يأخذ البشر عن بشر ملتهم: التصورات والمبادئ، والموازين والقيم، والشرائع والقوانين، والأوضاع والتقاليد، وهذه هي الجاهلية بكل مفوماتها،الجاهلية التي تتمثل فيها عبودية البشر للبشر، حيث يتعبد بعضهم بعضا من دون الله، والإسلام هو منهج الحياة الوحيد، الذي يتحرر فيه البشر من عبودية البشر،لأنهم يتفكّن التصورات والمبادئ، والموازين والقيم، والشرائع والقوانين، والأوضاع والتقاليد، من يد الله – سبحانه – فإذا أحصوا رؤوسهم فإنما يحنونها لله وحده، وإذا اطاعوا الشرائع فإنما يطيعون الله وحده، وإذا خضعوا للنظام فإنما يخضعون لله وحده،ومن لم يتحررون حقا من عبودية العبيد للعبيد، حين يصيحبون كلهم عبيدا لله بلا شريك، وهذا هو مفرق الطريق بين الجاهلية – في كل صورة من صورها – وبين الإسلام، وهذه السورة تتولي رسم مفرق الطريق بالذقة وبالوضوح الذي لا تبلى معه ريبه لستريـب.

ومفهوم أن كل امر أو شيء أو توجيه ورد في القرآن الكريم، كان يواجه حالة واقعة في المجتمع الجاهلي، وكان يتوخى إما إنشاء حالة غير قائمة، وإما إبطال حالة قائمة..، وذلك دون إخلال بالقاعدة الأصولية العامة:«العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب».. ومع ملاحظة أن النصوص القرآنية جاءت لتعمل في كل جيل وفي كل بيئة كما أسلفنا، وفي هذا تكمن المعجزة، فهذه النصوص التي جاءت لتواجه أحوالا يعينها، هي ذاتها التي تواجه الجماعة الإنسانية، في أي طور من أطوارها،والمنهج الذي تنطق الجماعة المسلمة من سبّح الجاهلية، هو ذاته الذي يلتقط آية مجموعة – أيا كان موقعها على الدرج الصاعد – ثم يبلغ بها إلى القمة السامقة، التي بلغ إليها بالمجموعة الأولى، يوم انقطعا من ذلك السبّح السحيق!

ومن ثم فحين حين تقرا القرآن تستطيع أن تتبين منه ملامح المجتمع الجاهلي، من خلال أوامره ونواهيه وتوجيهاته، كما تستطيع أن تتبين الملامح الجديدة التي يريد أن ينشئها، وأن

يصلتها في المجتمع الجديد.

فلماذا نحن واجدون – في هذه السورة – من ملامح المجتمع الجاهلي التي ظلت راسية في الجماعة المسلمة، منذ أن انتقلها المنهج الرباني من سبّح الجاهلية؟ وسأذا نحن واجدون من الملامح الجديدة التي يراد إنشاؤها في المجتمع الإسلامي الجديد وتبنيها؟ إننا نجد مجتمعا نؤكد فيه حقوق الأيتام – وبخاصة اليتيمات – في حجور الأهل والأولياء والأوصياء، ويستبدل الخبيث منها بالطيب، ويعمل فيها بالأسراف والطبع، خيفة أن يكبر البتاني فيستردوها! وتحبس فيه السفيلات من ذوات المال، لينتذهن الأولياء زوجات، طمعا في مايلن لا رغبة فيهن! أو يعطين لأطفال الأولياء للغرض ذاته!

ونجد مجتمعنا يجار فيه على الصغار والضعاف والنساء، فلا يسلم لهم فيه بتصبيهم الحقيقي من

الميراث، إنما يستأثر فيه بمعظم التركة الرجال الأقوياء، القادرون على حمل السلاح، ولا ينال الضعاف فيه إلا القفاز، وهذا القفاز الذي تناله اليتيمات الصغيرات والنسوة الكبيرات، هو الذي يحتجزن من أجله، ويحبسن على الأطفال من الذكور، أو على الشيوخ من الأولياء، كي لا يخرج المال بعيدا ولا يذهب في الغرابة!

ونجد مجتمعنا يضع المرأة موضعا غير كريم، ويعاملها بالفسخ والجور، في كل أوار حياتها، يحرمها الميراث – كما قلنا – أو يجسها ما ينالها منه، ويورثها لرجل كما يورثه الناع ؟ فإذا مات زوجها جاء وليه، فألقى عليها توبه، فيعرق أنها محجوزة له، إن شاء تكحها بغير مهر، وإن شاء زوجها وأخذ مهرها! ويعسها زوجها إذا طلقها، فبعدا له أي زوجة، ولا هي مطلقة، حتى تقدرى نفسها منه وقد أسرها!



جانب من حكمة الله في اختيار «الأميين» في الجزيرة العربية، في ذلك الحين، لهذه الرسالة العظيمة، حيث يمثلون سبّح الجاهلية الكاملة، بكل مقوماتها الاعتقادية والتصورية، والعقلية والفكرية، والأخلاقية والاجتماعية، والاقتصادية والسياسية، ليعرف فيهم أثر هذا المنهج، ولينشئ فيهم كيف يتم المعجزة الخارقة، التي لا يملك أن يأتي بها منيخ آخر، في كل ما عرفت الأرض من مناهج، وليرسم فيهم خط هذا المنهج، بكل مراحله – من السبّح إلى القمة – وبكل ظواهره، وبكل تجاربه، ولترى البشرية – في عمرها كله – أين تجد المنهج الذي يأخذ بيدها إلى القمة السامقة، أيا كان موقعها في الرقعي الصاعد سواء كانت في درجة من درجاته، أم كانت في سفحه الذي تنطق منه «الأميين»!

إن هذا المنهج ثابت في أصوله ومقوماته، لأنه يتعامل مع «الإنسان» وللإنسان كينونة ثابتة، فهو لا يبدل منها كينونة أخرى، وكل الحوارات والنظورات التي تاليس حياتنا لا تغير من طبيعته، ولا تبدل من كينونته، ولا تحولها خلقا آخر، إنما هي تغيرات ونظورات سطحية، كالأمواج في الخضم، لا تغير من طبيعته المائية، بل لا تؤثر في تياراته التحتية الدائمة، المحكومة بعوامل طبيعية ثابتة!

ومن ثم تواجه النصوص القرآنية الثابتة، تلك الكينونة البشرية الثابتة، ولأنها من صنع المصدر الذي صنع الإنسان، فإنها تواجه حياتنا بظروفها المتغيرة، وأطوارها المتجددة، بنفس المرونة التي يواجه بها «الإنسان» ظروف الحياة المتغيرة، وأطوارها المتجددة، وهو محافظ على مقوماته الأساسية، مقومات الإنسان.

وفي «الإنسان» هذا الاستعداد، وهذه المرونة، وإلا ما استطاع أن يواجه ظروف الحياة وأطوارها، وهي ليست ثابتة من حوله وفي المنهج الرباني الموضوع لهذا الإنسان، ذات الخصائص، يحكم أنه صادر من المصدر الذي صدر منه الإنسان، ومودع خصائصه ذاتها، ومعد للعمل معه إلى آخر الزمان.

وهكذا يستطيع ذلك المنهج، وتستطيع هذه النصوص، أن تلتقط الفرد الإنساني، وأن تلتقط المجموعة الإنسانية، من أي مستوى، ومن أية درجة من درجات المرتقى الصاعد، فيتبني به وبها إلى القمة السامقة.. إنه لا يرد ولا يردأ أبدا إلى الوراء، ولا يهبط به أو يها أبدا إلى درجة أسفل في المرتقى،كما أنه لا يضيق به ولا يها، ولا يعجز عن رفعه ورفعه، أيا كان مكانه أو مكانها من السبّح السحيق!

المجتمع البشري المختلف كالمجتمع العربي في الجاهلية القديمة، والمجتمع الصناعي المنحصر، كالمجتمع الأوروبي والأميركي في الجاهلية الحديثة.. كلاهما يجد في المنهج الرباني والنصوص القرآنية مكانة، ويجد من يأخذ بيده من هذا المكان، فيرقى به في المرتقى الصاعد، إلى القمة السامقة، التي

الميز السمات والملاح، وهو – مع هذا – واحد من جسسه على العموم! ونحن نرى في هذه السورة – وتكاد نحس – أنها كائن حي، يستهدف غرضا معينا، ويجهد له، وينوحي لتحقيقه بشتي الوسائل..والفقرات

والآيات والكلمات في السورة، هي الوسائل التي تبلغ بها ما تريد! ومن ثم تستشعر تجاهها – كما نستشعر تجاه كل سورة من سور هذا القرآن – احساس التعاطف والتجاوب مع الكائن الحي، المعروف السعات، للميز للملاح، صاحب القصد والوجهة، وصاحب الحياة والحركة، وصاحب الحس والشعور! إن السورة تعمل بجد وجهد في محو ملامح المجتمع الجاهلي – الذي منه انقطعت المجموعة المسلمة – ونيزد رواسبه، وفي تكيف ملامح المجتمع المسلم، وتطهيره من رواس الجاهلية فيه، وجلاء شخصيته الخاصة، كما تعمل بجد وجهد في استجاشته للدفاع عن كينونته المميزة، وذلك ببيان طبيعة المنهج الذي مته انبثقت هذه الكينونة المميزة، والتعريف بأعدائه الراسدين له من حوله – من اللشركن وأهل الكتاب وبخاصة اليهود – وأعدائه المتعصبين فيه – من ضعاف الإيمان والمناقضين – وكشف وسائلهم وحيلهم ومكائدهم، وبيان فساد تصوراتهم ومناهجهم وطرائقهم، مع وضع الأنظمة والنشريات التي تنظم هذا كله وتحدده، ونصيه في القالب التنفيذي المضبوط.

وفي الوقت ذاته تلحح رواسب الجاهلية، وهي تتصارع مع المنهج الجديد، والقيم الجديدة، والاعتبارات الجديدة، ونرى ملامح الجاهلية، وهي تحاول طمس الملامح الجديدة الوضيدة الجميلة، ونشهد المعركة التي يخوضها المنهج الرباني بهذا القرآن في هذا الميدان، وهي معركة لا تقل شدة ولا عفا ولا سعة، عن المعركة التي يخوضها في الميدان الآخر، مع الأعداء الراسدين له والأعداء المتعصبين فيه!

وحيث تدقق النظر في الرواسب التي حملها المجتمع المسلم من المجتمع الجاهلي الذي منه جاء، والتي تعالج هذه السورة جوانب منها – كما تعالج سور كثيرة جوانب أخرى – قد يتألما الدمش لعقم هذه الرواسب، حتى لتظلل تغالب طوال هذه الفترة التي رجعنا أن آيات السورة كانت تنزل فيها، ومن العجب أن تظل لهذه الرواسب صلابتها حتى ذلك الوقت المتأخر.. ثم يتألما الدمش كذلك للقلقة البعيدة السامقة الرفيعة التي انتهى إليها هذا العجيب الغريب المنهج الذي يملك وحده أن يلتقط الكينونة البشرية من ذلك الذي تشمله تلك الرواسب، فارتقى بها في ذلك المرتقى الصاعد إلى تلك القمة السامقة.. القمة التي لم ترتق إليها البشرية قط، إلا على حذاء ذلك المنهج العجيب الغريب المنهج الذي يملك وحده أن يلتقط الكينونة البشرية من ذلك السبّح، فارتقى بها إلى تلك القمة، وريدا رويدا، في يسر ورفق، وفي ثبات وصبر، وفي خطو متناسق موزون!

والذي يدقق النظر في هذه الظاهرة الغريبة في تاريخ البشرية، يتجلى له ووضع له منهجاً علمياً مركزاً قام من خلاله بتعليمه القرآن الكريم، والتجويد، والتجو، والصرف، وفقه المذهب الحنفي، وقد ختم القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم، كما درس على الشيخ سعيد البرهاني، مرافي الفلاح في الفقه الحنفي وبعض كتب اللغة والبالغة، هذا في الوقت الذي حرص فيه على حضور دروس وندوات العلامة بهجة البيطار، أخذ عن أبيه مهته إصلاح الساعات فجاءها حتى صار من اصحاب الشهرة فيها، وأخذ يتكسب رزقه منها، وقد فرقت له هذه المهنة وقتا جيدا للمطالعة والدراسة، وحيات له حجرة للشام معرفة باللغة العربية والإطلاع على العلوم الشرعية من مصادرنا الأصلية.

سورة النساء مدنية، وهي أطول سور القرآن – بعد سورة البقرة – وترتيبها في النزول بعد سورة الممتحنة، التي تقول الروايات: إن بعضها نزل في غزوة الفتح في السنة الثامنة للهجرة، وبعضها نزل في غزوة الحديبية قبلها في السنة السادسة.

ولكن الأمر في ترتيب السور حسب النزول – كما بينا في مطالع الكلام على سورة البقرة في الجزء الأول – ليس قطعيا، كما أن السورة لم تكن تنزل كلها دفعة واحدة في زمن واحد،فقد كانت الآيات تنزل من سور متعددة، ثم يأس النبي -صلى الله عليه وسلم – بوضع كل منها في موضعه من سورة بذاتها والسورة الواحدة – على هذا – كانت تظل «مفتوحة» فترة من الزمان تطول أو تقصر وقد تمتد عدة سنوات وفي سورة البقرة كانت هناك آيات من أوائل ما نزل في المدينة، وآيات من أواخر ما نزل من القرآن.

وكذلك الشأن في هذه السورة فعنها ما نزل بعد سورة الممتحنة في السنة السادسة وفي السنة الثامنة كذلك، ولكن منها الكثير نزل في أوائل العهد بالهجرة، والمتنظر – على كل حال – أن يكون نزل آيات هذه السورة قد امتد من بعد غزوة أحد في السنة الثالثة الهجرية، إلى ما بعد السنة الثامنة، حين نزلت مقدمة سورة الممتحنة.

وتذكر على سبيل المثال الآية الواردة في هذه السورة عن حكم الزنايات: «واللاتي ياتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم، فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت، حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سيلا..» فمن اللطوع به أن هذه الآية نزلت قبل آية سورة النور التي بيئت حد الزنا: «الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة، ولا تأخذكم بهما رافة في دين الله، إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر، وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين».. وهذه الآية الأخيرة نزلت بعد حديث الأقف في السنة الخامسة [أو في السنة الرابعة على رواية] فقد قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم – حين نزلت: «خذوا عني، خذوا عني، قد جعل الله لهن سبيلا..» إلخ. وكان السبيل هو هذا الحكم الذي تضمنته آية النور.

وفي السورة نماذج كثيرة كذا النموذج، تدل على تواريخ نزولها على وجه التقريب على النحو الذي يبناه في مطالع الكلام عن سورة البقرة.

هذه السورة تمثل جانباً من الجهد الذي أنشقه الإسلام في بناء الجماعة المسلمة، وإنشاء المجتمع الإسلامي، وفي حماية تلك الجماعة، وصيانة هذا المجتمع، وتعرض نموذجاً من فعل القرآن في المجتمع الجديد، الذي انشق أصلا من خلال نصوصه، والذي نشأ ابتداء من خلال المنهج الرباني، ونصور بهذا ذلك طبيعة هذا المنهج في تعامله مع الكائن الإنساني، كما تصور طبيعة هذا المنهج وتفاعله مع المنهج الرباني، فتفاعله معه وهو يتقو خلافا في المرتقى الصاعد، من السبّح الهابط.. إلى القمة السامقة.. خطوطه، ومرحلة مرحلة، بين تجارات الطامع والتشوهات والخاوف والرقائب، وبين أشواق الطريق التي لا تخلو منها خطوة واحدة، وبين الأعداء المترصبين على طول الطريق الشائك! ونرى هنا مواجهة القرآن لكل المااسبات المحيطة بنشأة الجماعة المسلمة في المدينة، وبيان طبيعة المنهج الرباني الذي تنشأ الجماعة على أساسه، وتقدير الحقائق الأساسية التي يقوم عليها التصور الإسلامي، والقيم والموازين التي تنبثق من هذا التصور، وإبراز التكاليف التي يتخسها النهوض بهذه الأمانة في الأرض، وتصوير طبيعة أعداء هذا المنهج وأعداء هذه الجماعة التي تقوم عليه في الأرض، وتحذيرها من وسائل أولئك الأعداء ووسائلهم، وبيان ما في عقائدهم من زيف وانحراف، وما في وسائلهم من خسة والتواء، فتكذلك ترى القرآن – في هذه السورة – يواجه جملة هذه اللامساات والحقائق.

إلا أن لكل سورة من سور القرآن شخصيتها الخاصة، وملامحها المميزة، ومجورها الذي تنش إليه موضوعاتها جميعا..ومن مقتضيات الشخصية الخاصة أن تتجعم الموضوعات في كل سورة وتتناسق حول محورها في نظام خاص بها، تبرز فيه ملامحها، وتتميز به شخصيتها، كالكائن الحي

حجة زمانه في علم الجرح والتعديل ومصطلح الحديث

العلامة الشيخ الألباني محدث العصر.. والمهاجر إلى الله

وقالت له ذلك الرجل هو الشيخ الألباني.

وفاته

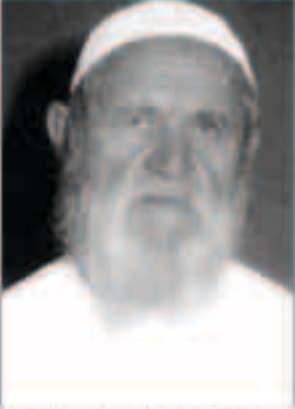
توفي العلامة الألباني قبل يوم السبت في الثاني والعشرين من جمادى الآخرة 1440هـ الموافق الثاني من أكتوبر 1999، ودفن بعد صلاة العشاء.

وقد عجل بدفن الشيخ لأمرين: الأول: تنفيذ وصيته كما أمر: الثاني: الأيام التي مر بها موت هذه الأيام كانت شديدة الحرارة، فخشي أنه لو تأخر بدفنه أن تقع بعض الأضرار أو المغاسد على الناس الذين يأتون لتسليم جنازته -رحمه الله-، لذلك أوثر أن يكون دفنه سريعاً، بالرغم من عدم إعلام أحد عن وفاة الشيخ ودفنه، إلا أن آلاف المصلين قد حضروا صلاة جنازته حيث تداعى الناس بأن يعلم كل منهم أخبار.

يوتوبيا نادرة لمحدث هذه الأمة رحمة الله عليه.

رؤيا فتاة جزائرية للرسول -صلى الله عليه وسلم- في المنام وكان الرجل الشيخ.

العربية السعودية الشيخ حسن بن عبدالله آل الشيخ عام 1388 هـ أن يتولى الإشراف على قسم الدراسات الإسلامية العليا في جامعة مكة، وقد جالت الأقرف دون تحقيق ذلك. (6) اختير عضواً للمجلس الأعلى للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة من عام 1395 هـ إلى 1398 هـ. (7) لبي دعوة من اتحاد الطلبة المسلمين في إسبانيا، والتي محاضرة مهمة طبعت فيما بعد بعنوان «الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام..» (8) زار قطر والقي فيها محاضرة بعنوان «منزلة السنة في الإسلام..» (9) انتدب من سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز -رحمه الله- رئيس إدارة البحوث العلمية والإفتاء للدعوة في مصر والمغرب وبريطانيا للدعوة إلى التوحيد والاعتصام بالكتاب والسنة والمنهج الإسلامي الحق. (10) عهد الوحدة بين مصر وسورية، دعى إلى عدة مؤتمرات، حضر بعضها واعتذر عن كثير بسبب اشتغالاته العلمية الكثيرة. (11) زار الكويت وإسبارة، والقي فيها محاضرات عديدة، وزار أيضاً عدداً من دول أوروبا، وأتقى فيها بالجاليات الإسلامية والطلبة المسلمين، والتي روسا عملية مفيدة. (12) للشيخ



الشيخ ناصر الدين الألباني

الشريعة في جامعة دمشق ليعوم بتخريج أحاديث البيوع الخاصة بموسوعة الفقه الإسلامي، التي عزم الجامعة على إصدارها عام 1955. (3) اختير عضواً في لجنة الحديث، التي شكلت في عهد الوحدة بين مصر وسورية، للإشراف على نشر كتب السنة وتحقيقتها. (4) طلبت إليه الجامعة السلفية في باريس «الهدى» أن يولي مشيخة الحديث، فاعتذر عن ذلك لصعوبة اصطحاب الأهل والأولاد بسبب الحرب بين الهند وباكستان آنذاك. (5) طلب إليه معالي وزير المعارف في أفغكة

رفض أبوه إلحاقه

بالتعليم العام بعد

رحيلهم من ألبانيا

إلى سورية

مطالعتة لكتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وغيرهما من أعلام المدرسة السلفية.

أعماله وإنجازاته

لقد كانت للشيخ جهود علمية

وخدمات عديدة منها:

(1) كان شيخنا -رحمه الله- يحضر ندوات العلامة الشيخ محمد بهجت البيطار -رحمه الله- مع بعض أساتذة المجمع العلمي بدمشق، منهم عن الدين التلحوي -رحمه الله- (إذ كانوا يقرأون «الحماسة» لأبي تمام. (2) اختارته كلية

العلامة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني هو أحد أبرز العلماء المسلمين في العصر الحديث الذي تخصص في علوم الحديث، ويعتبر الشيخ الألباني من علماء الحديث البارزين المقربين في علم الجرح والتعديل، والشيخ الألباني حجة في مصطلح الحديث وقال عنه العلامة المحللون إنه أعاد عصر ابن حجر العسقلاني والحافظ ابن كثير وغيرهما من علماء الجرح والتعديل.

ولد الشيخ محمد ناصر الدين بن الحاج نوح الألباني عام 1333 هـ الموافق 1914 في مدينة

اشقورة عاصمة دولة ألبانيا -جنبتاً - عن أسرة فقيرة متدينة، يغلب عليها الطابع العلمي، فكان والده مرجعاً للناس يعلمهم ويرشدهم.

هاجر صاحب الترجمة بصحبة والده إلى دمشق الشام للاقامة

الدائمة فيها بعد أن اتعرف أحمد زافعو (ملك ألبانيا) ببلاده نحو

الحضارة الغربية العلمانية.

اتم العلامة الألباني دراسته

الابتدائية في مدرسة الإسعاف

الخيري في دمشق بفقو، تقرأ

لرائي والده الخاص في المدارس

الثقافية من الناحية الدينية، فقد

فر عدم إكمال الدراسة النظامية